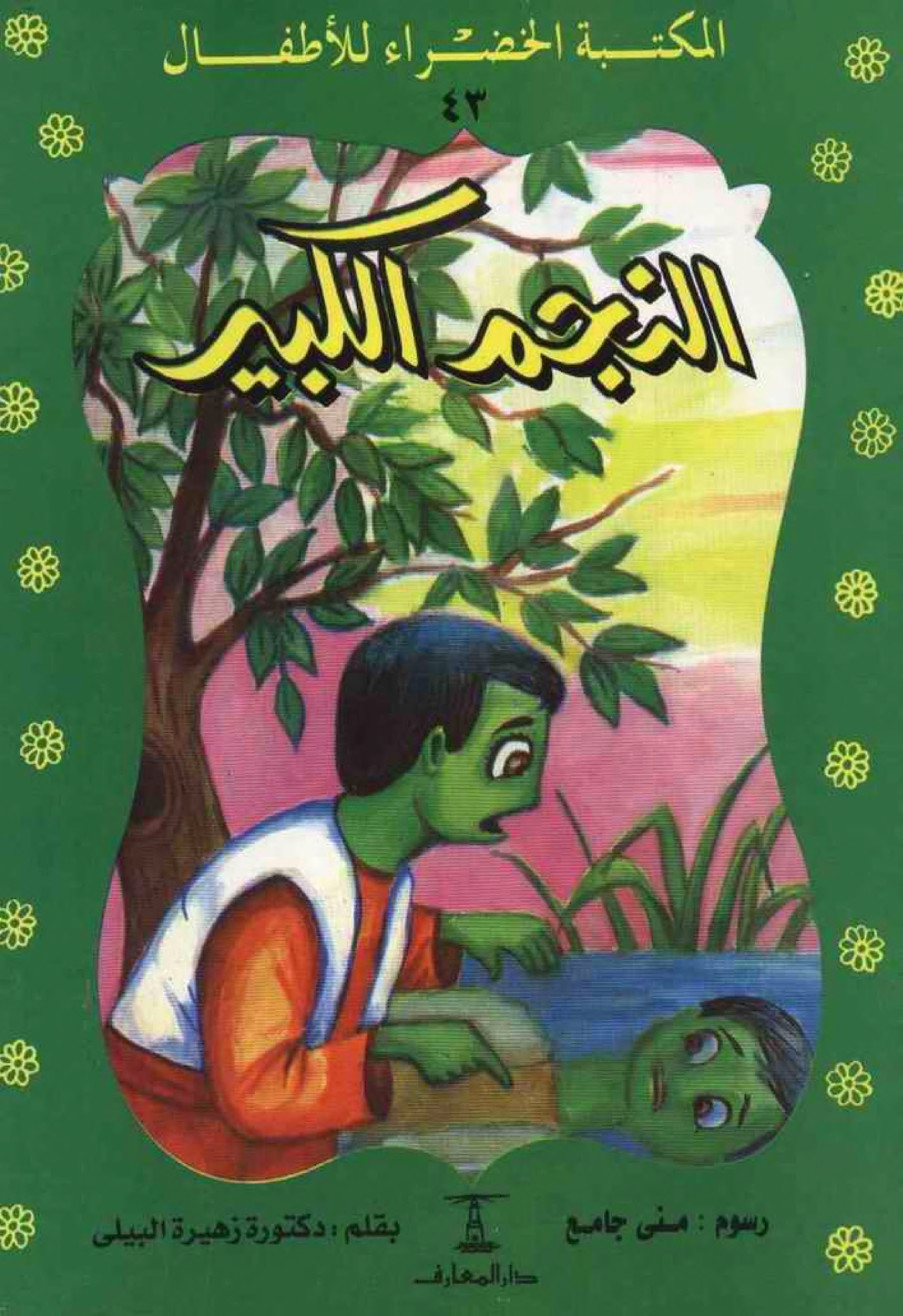
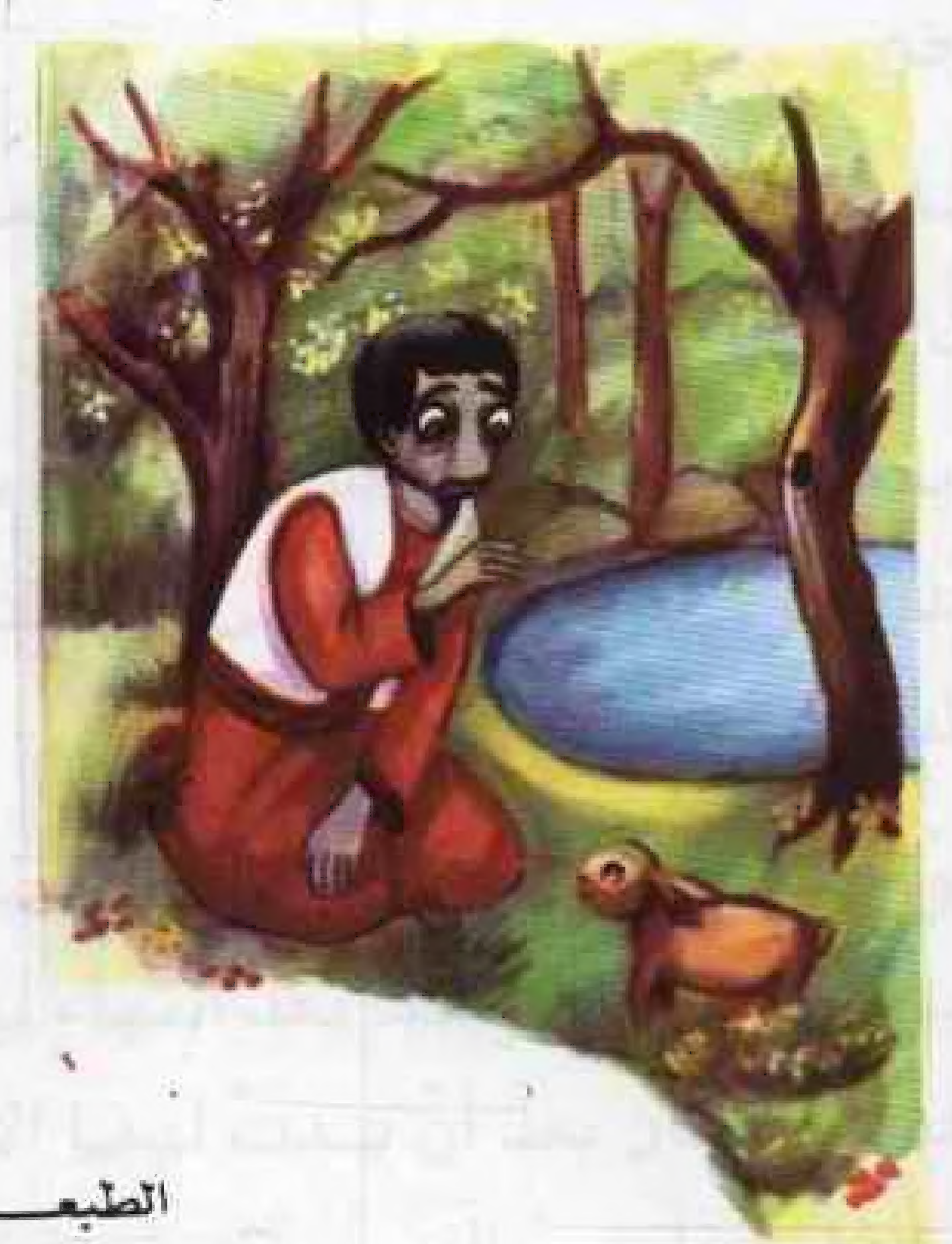


المكتبة الخضراء للأطفال
٤٣
النجم الكبير
رسوم : منى جامع
بقلم : دكتورة زهيرة البيلى
دار المعارف

المكتبة الخضراء للأطفال







الطبعة الرابعة

بقلم : دكتورة زهيرة البيلى

رسوم: منى جامع



دار المعارف

فى أحدِ أيام فَصل الشّتاءِ، كَانَ الجوُّ شديدَ البرودةِ إلى دَرجـةِ أن حَيوانَات الغَابَـةِ أخَـذتْ تَبحـثُ لنفسِـهَا عـن مكـان دافـىءٍ تَختبىءُ فيه.

وَسَط البردِ القَارص مَشَى الثّعلب الّذِى كَان يُعانِى مِن العَرج البَسِيطِ وَسَط العُشبِ ليحتَمِي مِن الرِّياحِ العَاصِفةِ، فأخفى ذَيلَـهُ بَينَ سَاقيه وأخذَ يئن ويَقول: هَذِهِ لَيلةٌ باردةٌ لا مفر مِن الجلِيدِ الّذِى يُغطى الأرض.

فى الوقتِ نَفسه زقزقت العَصافيرُ الخضراء الصَّغِيرة قَائلَـةً: لَقَد مَاتت الأرضُ العَجُوزُ والتفتْ بثَوبهَا الأبيض.

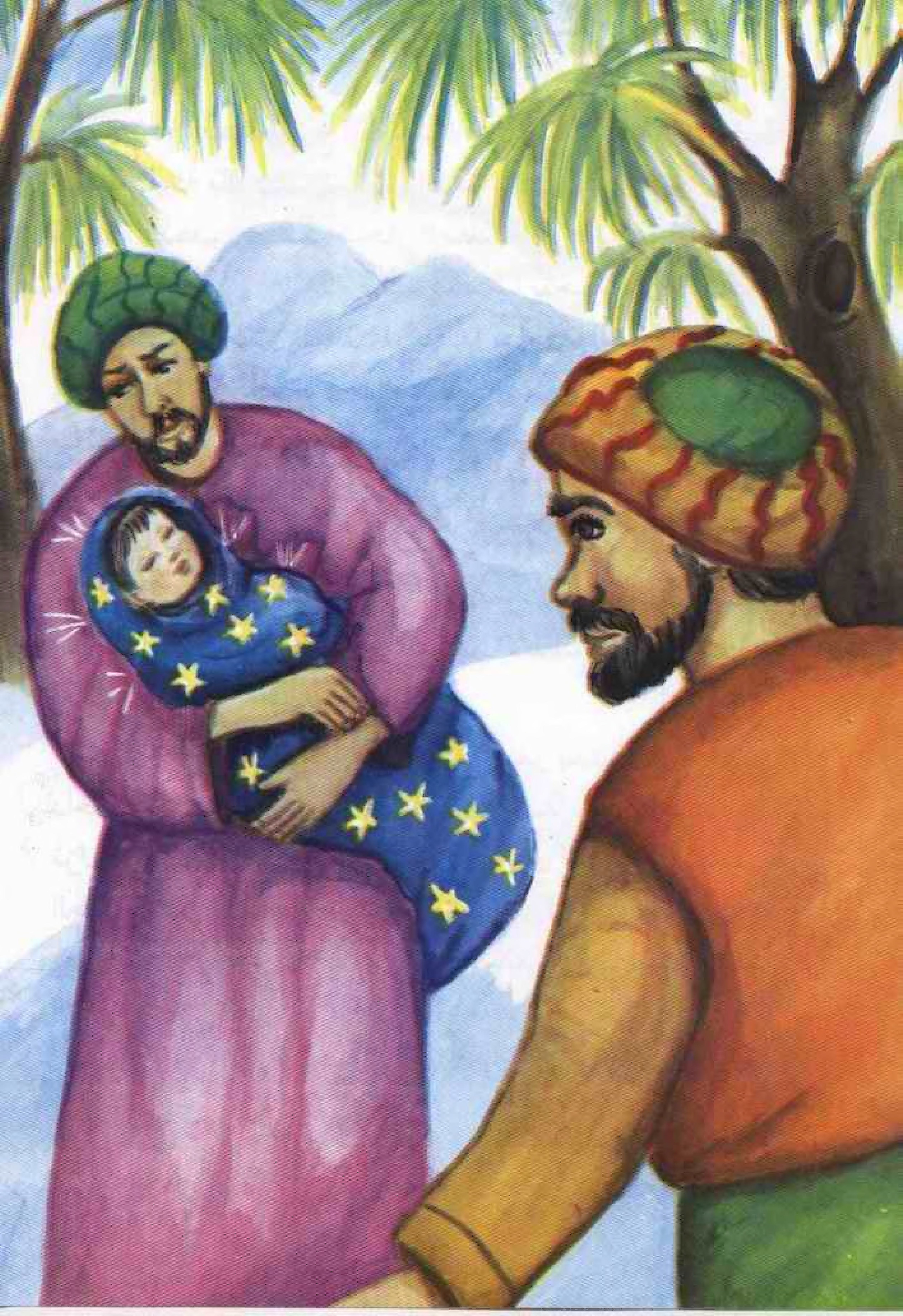
لَكِن اليمَام لَم يعجِبْهُ هَذا الحـوار المتشائم عَـن مَـوتِ الأرض بسببِ البَردِ الشّدِيد فَرد قَـائلاً: إنَّ الأرضَ لم تمـتْ، إنـه يـوم عُرسَها وهى تَرتدِى ثوبَ الزفافِ الأبيض.

وَسط هَذَا الجـوِّ البَـاردِ الغَريـب سَـارَ أحـدُ الحطَّـابين برفقـةِ زَميل لَهُ فى طَريق العَودةِ إلى منزلِهما بعد انتهاء يَومٍ طويل من العملَ الشّاق، أخذَا يَضحكان بعد أنْ بَـدتْ لهمـا الأرضُ كأنّـها وردةٌ كَبـيرةٌ مـنَ الفضـةِ وأصبـحَ القَمـرُ مِثـل وردةٍ كَبـيرة مـن الذَّهَبِ. لَكِن بعد قَلِيل وفَجأةً لمعَ فِـى السَّماء نجـمٌ كَبيرٌ وسـطَ الظّلام، إنسابَ بذيل براق طويل، ثُمَّ سَقطَ فى مكانٍ قَريـبٍ مـن أشجار الصَّفْصَاف عِندَ أحدِ المرَاعِى الواسعة.



ومن شِدةِ الدَّهشةِ صَرخَ الحطابُ قَائلاً: مَا هَـذا؟! لابـد إنـها حقيبة مليئة بالذَّهبِ، وبالفعل اندفعَ الحطَّابـان بسـرعةٍ بحثًـا عن هَذَا الذَّهبِ، وعِنـدَ أشجارِ الصَّفصَـافِ وجـدا شيئًا مُذهبًـا لامعًا على الأرض. فإذا به معطفًا مُرصعًـا بنجـوم مـن الذَّهـبِ، وعِندمَا فَتحِ الرجلان المعطفَ لم يجـدا بداخلـه الكـنزَ المُنتظـرِ، ولَكِن كَانتْ المفاجأةُ، إذ وجدا طفـلاً جَمِيـلاً نَائمًـا فقـالَ الأولُ: يـا لهـا مـن نهايـةٍ مُؤسـفةٍ لآمالنـا وأحلامِنَـا، فمـا فَـائدة هَـذَا الطَّفل؟! لنتركه كما هو ونُكمل طريقنا إلى البيـتِ، إنَّنـا فقـراءُ ولدينا ما يَكفى مـن الأبنـاءِ لإطعامِـهم. وَلِكـن ردَّ عليـه زَميلـه قائلا: هَل مِن المعقول أن نتركَ الطفل يَموتُ من الـبردِ، حَقِيقـة أننى أشدُّ فقرًا منك ولدى عدد أكبر من الأطفال، لكننـى سـوف أحمله إلى زوجتى حَتّى نعتنى بهِ.

بحنان بَالغ حملَ الحَطَّابُ الطفلَ الصغـيرَ بَعـد أن لفـه جيـدًا داخلَ المعطفِ، حَتَّى يحميه من الـبرد. أخـذَ يضمـه إلى صـدرِهِ. نَزلَ الرجلان الربوةَ العَاليةَ فى طَريقهمَا إلى القريـةِ، وتَعجـبَ الحَطَّـابُ مـن تَصـرف زَميلـه ورقـة قلبـهِ المرهـف، وعندمـا وصل الرجلان، قَالَ الحطَّـابُ الأولُ لصديقـهِ: بَمـا أنـك أخـذت الطفل، أعطنِي المعطفَ، هَكَذا نُصبح مُتساويين. لَكِـن الحطَّـابَ رَدَّ عليه قَائلا: لا، إن المعطفَ ملـك للطفـل الصغـير، لـذا فـهو ليس من حَقّنا.



عِندمَا فتحتْ زوجةُ الحَطَّابِ البابَ ورأتْ زوجَـهَا الَّـذِى عَـادَ إليها سَالمًا، أخذتْ تَشكرُ الله عَلَى نِعمتــه، ثم سـألت عـن هـذا الشيء الَّذى يَحمله فوقَ ظهره. فأسـرعَ الحطـابُ بـالقول: لقـد وجدت شيئا فى الغَابةِ فأحضرتُه لك لتتولى رعايته.

وخوفًا مـن ردود فعـل زَوجتــه لم يَتحـرك الحطَّـابُ مـن فوق عَتبــة البـابِ. فَسألته الزوجـةُ: مَـا هَـذا الشـيءُ؟! أرنـى مَاذا أحضرتَ لنـا؟! البيـتُ خـالٍ مـن كـل شـيءٍ، والأولاد فـى انتظار الطَّعام.

لكن عِندمَا أزاحَ الحَطَّابُ طَرفَ المعطفِ لمحتْ الزَّوجــةُ طفـلاً صَغيرًا يَنـامُ فى سلام. فأخذتْ تُــردد: مَـا هـذا يـا رجـل؟! إن لدينا ما يكفـى مـن الأولاد، ومـا أدراك إنـه سـوف يجلـب لنـا الحظ؟! وكيف لنا أنْ نسهرَ عَلَى تَربيتِهِ؟!

ثَارتْ الزّوجةُ عَلَى زَوجِهَا الَّذِى أجابَ عَلَى الفَـور: لا.. إنـه طفل جَاءَ بـه النَّجمُ الكبير من السَّماءِ.. وأخــذَ الحطَّـابُ يَحكـى لِزوجتِه مَا حدث، وكيف تم العُثورُ عَلَـى هَـذَا الطفل الـبرىء. فَكانَ مِن الصَّعبِ عَلَى المرأةِ أنْ تُدركَ حَقيقةَ الأمـر أو أنْ تَـهدأ. وأخذتْ تَسخرَ مِن زَوجِـهَا، ثُـمَّ قَـالتْ لَـهُ بغضِـبٍ: إنَّ أطفالنـا لا يَجـدون قطعـةً واحـدةً مِـن الخـبز، فَكَيـفَ نُطعـمُ طفـلَ الآخرين؟! أجَابَها الـزّوجُ: إن الله وحـده هُـوَ الَّـذى يُطعـمُ كُـلَّ

المخلُوقاتِ، هُوَ الَّذِى يَبعثُ بالطعام لكافةِ المخلوقاتِ، العَصَافِيرُ والطيـورُ وسَـائر الحيوانـات. هُنَـا سَألته الزَوَّجـةُ: ألا تمـوتُ العَصافير من الجوعِ فى فصل الشِّتَاءِ؟

لم ينطقُ الرجل بحـرفٍ واحـدٍ ولَـمْ يتَحـركْ مِـن فـوق عَتبـةِ البـابِ، لَكِـن عِندمَـا هبـتْ الرِيـاحُ العَاصِفـةُ لتملـىءَ الحجـرةُ بـالصَّقِيع، تَراجعـتْ الزوجـةُ عَـن مَوقفِـهَا قَائلـةً: أليـس مـن الأفضل أَنْ تغلقَ هَـذا البـابَ؟ إننـى أشعر بالـبرد الشَّـدِيدِ، رَدَّ عَليهَا الرجلُ قَائلاً: إنَّ المنزلَ الَّذِى يعيش فِيه قَلبٌ قـاس لابـد أنْ يدَخلهُ الهواءُ البارِدُ.

ودُونَ أنْ تَنطقَ الزوجةُ بحرفٍ واحـدٍ، اقـتربتْ مِـن المدفـأةِ، وبعد لحظةٍ إلتفتت إلى زَوجِهَا وقَـد امتـلأتْ عَيناهَـا بـالدّموع، فاقتربَ مِنها الزَّوجُ ليضعَ لهـا الطفـلَ بَـين ذِرَاعِيـهَا، وأخـذتْ الزوجـةُ تُقبلُ الطفل ثُمَّ وضعته فوقَ السـرير لينـامَ بـالقربِ من أصغر أطفالها.

فى صباح اليوم التَّالِى وضعَ الحَطَّابُ المعطـفَ المرصـعَ بـالنجُومِ الذَّهبيـةِ فـى دولابٍ قَديـمٍ، بَينمَـا احتفظـتْ زَوجتُـهُ بـالقلادةِ المصنوعةِ من العَنبر الَّتِى كانَ يَرتديها الطفلُ فِى مكان أمين.

مَرِت الأيـامُ وتَربـى الطفـلُ ابـن النَّجِـم الكَبـير وسَطَ أبنَـاءِ الحطَّـابِ، عَـاشَ فـى نفـس المكـان حَيـثُ شَارِكَ بقيـةَ الأوْلادِ ألعابَهِم وحَياتهم. وعـام بعـد عـامٍ ازدادَ الطفـل الصغِيرُ صحـة

وجمالاً، كَانَ شَعرُه الأسوُد الفاحم شديدَ اللمعان، أمَّا بَشرتُه فكانتْ فى لون العاج، كما بدتْ شفتاهُ كأنهمَا ورقتان لوردةٍ حمراءَ يانعةٍ، وكانَتْ عَيْناه فِى لونِ البنفسَج.

لَكِن مِن الغَريبِ أنَّ هذا الجمالَ الواضِحَ تنَاقِضَ تَمامًا مع صفاتِ الطفل الذى أصَبحَ فِيمَا بعدُ يُعرفُ بالأنَانِيةِ وقسوةِ القلبِ، إذ بَدَأ يحتقرَ أبناءَ الحطَّابِ وكذلِك باقى الأطفال فى القريةِ، اعتبرِ نَفسه ابن النَّجمِ الكبيرِ، وَلَمْ يَترددْ فى تنصيبِ نَفسه سَيدًا عَلى الجميع.

عَاشَ الحَطَّابُ وزوجتُهُ فى حزن شديدٍ بسبب تصرفاتِ ابن النَّجم وكَانا يُحاولان دائمًا إصلاح سُلوكِهَ قَائلين لَهُ: لَقدْ عَكفنَا عَلَى تَربيتك عَلى أحسن وجهٍ.. فلماذَا هَذِه القسوة تجاهَ الفقراءِ والمساكين؟! كما حاولَ الحطَّابُ أنْ يُلقنَه مِرارًا دُروسًا فى الحبِ حَتَّى يتَعلمَ الرَّحمةَ عَلَى المخلوقاتِ الَّتى يَزخرُ بِهَا الكونُ. كَانَ يَقولُ لَهُ: دع العصافيرَ تُحلقَ وسطَ الغابَةِ فِى حريةٍ وسلامٍ. فمن تكون أنتَ لتجلبَ التَّعاسةَ والألمِ عَلَى الآخرينَ؟ لَكِن ابْنُ النَّجمِ لَمْ يَهتمْ بكل هذه الدروسِ الجمِيلة، بل أخَذَ يسخرُ مِن كلامِ الحطَّابِ.

وفِى أحدِ الأيام مرتْ بالقريةِ امرأةٌ عَجوزٌ بائسةٌ، من شدةِ التَّعبِ جَلستْ تَحتَ إحدى الأشجارِ حَتَّى تَستردَ أنفاسَهَا. لَكِن بمُجردِ أنْ لمحَهَا ابن النَّجم الكَبيرِ حتى قَالَ لأصدقائِه:



أترون؟؟! تَحتَ هذه الشَّجرةِ الجمِيلةِ بفَرُوعِها الخضراءِ اللامعة، شَحاذة دَمِيمةٌ، هَيَّا لنطردهَا مِن هُنَاك.

بعد أنْ اقتربَ منها ابن النَّجمِ، أخَذَ يلقى عَليها الحِجَارةَ، فخَافت المرأةُ العجوزُ وأخذتْ تَنظرُ إليه بخوفٍ شَديدٍ، لكن دون أن يغيبَ عن عينيهَا لحظةً. ولأن الحطَّابَ كان يقومُ بعملهِ فِي ذَلِكَ اليوم عِندَ الغَابةِ، لمحَ ابن النَّجم فجرى إليه مُسرعًا لينقذَ المرأة المسكينة منه وأخَذَ يقولَ لَهُ: مَاذا فَعلتْ لك هذه المرأةُ لتُعَاملها بهذِه القسوة؟

ومِن شِدة الغَضبِ إزداد وجه الغُلامِ احمرارًا، وأخذَ يَدقُ الأرضَ بقدميه ويَقولُ: من تكون أنتَ حَتَّى تُؤنِّبنى؟ لستُ ابنك حَتَّى أطِيعَكَ، أجابَ الحَطَّابُ: أنتَ عَلَى حقٍ.. لكِننى عَطِفتُ عَليكَ عِندمَا وجدتُكَ وَحِيدًا وسطَ الغابةِ.

عِندَما سمعت المرأةُ العجوزُ هذه الكلمات، صرخت ثُمَّ وقعتْ على الأرض مَغشيًا عليها. فَحملَهَا الحطابُ إلى البيتِ لتعتنى بها زَوجته ولتقدمَ لَها الطَّعامَ والشَّرابَ.

لَمْ تكن المرأةُ تُريدُ شيئًا من كُلِّ هَذَا، لَكِنهَا أخذتْ تَسألُ الحطَّابَ: لَقَد سمعتُكَ تَقولُ إنكَ وجدت الطفلَ وسطَ الغابةِ، فهَل كَان هذا مُنذ عَشرِ سنواتٍ؟ أجابَها الحَطَّابُ: نَعَم.. لَقَد وجدتُه وسطَ الغابةِ، فَردت المرأةُ المسكينةُ: هَلْ كَانتْ مَعَهُ عَلاماتٌ مميزةٌ ؟ ألم يكن يَرتدى قلادة من العنبر؟ ألمِ يكن



ملفوفًا داخلَ معطفٍ مطرزٍ بنجوم من الذَّهبِ؟ قَالَ لهَا الحَطَّابُ عَلى الفور: نَعَم، هَذَا كُلّ مَا حَدثَ، وأسرِع الرجلُ ليخرجَ المعطفَ من الدولاب القَديم ليقدمَه للمرأةِ الَّتى انهمرتْ فى البكاءِ وبمجرد أن رأت المعطفَ أخذتْ تقول بفرحةٍ: إنه ابنى، لقد ضَاعَ مِنى وسطَ الغابةِ، أرجُوكَ نَادِى عليه فأنا أريده الآن بعد أنْ بحثتُ عَنه طويلا.

خَرجَ الحَطَّابُ وزوجتُه ليناديا عَلَى ابن النَّجم الكَبير وَقالا لَهُ: تَعال إلى البيتِ إنَّ والدتك فى انتظارك. بعد أن دخل الغلامُ بسرعةٍ وهو فرحان، ضَحك عِندمَا رأى المرأة الَّتى فى انتظاره فَقال: لَكِن، أين أمى؟! إننى لا أرى سِوى هذه المرأة العَجوز. فقالت له المرأة: إننى أمكَ.. رد عَليهَا الغُلامُ بغضبٍ شديدٍ: هل جننتِ؟! كيف تقولين ذَلِك؟! إنَّنى ابن النَّجم الكَبير، أمَا أنتِ فمجرد امرأة دَمِيمةٍ مُهلهلةِ الثيابِ، لا أريدُ أنْ أرى وجهك، أخذتْ المرأة المسكينة تردد: لا.. لا.. أنت طفلى الصغير، لقد ولدت وسط الغابة.

انهارت المرأة جَاثية عَلَى رُكبتيها تَتَوسل إليه ليسمعَها، وأخذتْ تَحكى له حقِيقَة ما حدثَ: لَقد خَطفك اللصوصُ، لكننى تعرفتَ عَليك الآن، هذه القلادة، وهذا المَعطفُ المرصعُ بالنّجوم، تعال إلىّ لقد بَحثتُ عَنك طويلا، إننى فى حاجةٍ إلى حُبك الآن.

لَكِن الغلامَ بقي جَامدًا فى مكانِه بلا حراك، لا ينصُت لبكاء المرأةِ، وعِندما تكلم أخيرًا قال بصوتٍ جافٍ: إذا كنت حَقًا أمي فقد كَان من الأفضل ألا تأتي إلى هُنا، فأنا أشعرُ بالخزى أمامَ الجميع بعد أن كُنتُ أظَن أننى ابن النَّجمِ الكبير، اذهبى.. أنا لا أريدُ أنْ أراكَ. قَالتْ المرأةُ بحزن بَالغ: قبل أن أذهب تعال لتُقبلنى، لقد قاسيت كثيرا من أجلكَ.. قَال الغلامُ: لا.. أهون على أن أقبلَ الحيةَ أو الضفدعَ السَّام.

نَهضت المرأةُ بإعياءٍ، واتجهتْ فى اتجاهِ الغابةِ وهى تَبكى بمرارةٍ. وعِندَما رآها ابن النجم وهى تَبتعدُ، شعر بالارتياح ثُمَّ أخَذَ يلعبَ مع أصدقائه، وَلكن عِندَما رآه أصحَابُه أخذوا يَقولون لَهُ: ابتعدْ عَنا، إننا لا نريدُ أنْ نَلعبَ مَعَك. لقد أصبحتَ حقا مثل الضفدع السام وأشد قُبحا من الحيةِ. وقَامَ أصْدقاؤهُ بطردِه بَعِيدًا عَن الحديقةِ، فأصيبَ ابن النَّجمِ بالدِّهشة من أمر أصحابه وأخذ يَسألُ نَفسه: لماذا يقولون ذَلِكَ؟! سأذهبُ إلى نبعِ الماءِ لأرى وأشاهد جَمالى وحُسنى فوقَ صفحةِ الماءِ.

عِندما وصلَ الغلامُ إلى نبع الماء، إذا به يَرى وجهه قَدْ تَحول مثل الضُّفدع وأصبحَ جَسدُه مِثلَ الحيةِ. فانتابه الخوفُ وألقى بنفسِه عَلَى الأرض وسطَ الحشائش، وأخَذَ يَبكى بصوتٍ عال ويَقولُ: لَقدْ أنكرتُ أمي وطَردتها، إننى حَقًا أنانى وقاسى



القلبِ. سَوف أذهبُ للبحث عَنها فِى كُلِّ مكان، وجَاءتْ ابنةُ الحَطَّابِ تَجرى إليهِ، ووضعَتْ يَدهَا عَلَى كتفِهِ وقالتْ لَهُ: لا تَحزنْ لأنك فقدت شَكلكَ الجَميل، ابق معنا ولن يسخر منك أحد. رد عليها قائلا: لا.. لقد كنتُ شديدَ القَسوةِ مَعَ أمِى، وعَلىَّ أنْ أذهبَ للبحثِ عنها الآن حَتَّى تَغفرَ لى وتَصفح عَنى.

أخَذَ الغُلامُ يجرى فى اتجاهِ الغَابةِ وهَوُ يُنادى عَلَى أمِّه لَكن دُونَ أنْ يَتلقى أية إجابة: أخذَ يُنادى عليها طِيلةَ اليومِ حَتَّى غَابتْ الشمسُ، فتمددَ وسطَ الحشائش من شدةِ التَّعبِ، وأخذتْ العَصَافِيرُ تُحلِّق مِن حَولهِ فِى فَزعٍ، ولم يَبقَ بجانبه إلا الضفادعُ والثعابينُ.

اسْتيقظَ الغُلامُ عِندَ الفجر، ثُمَّ استأنفَ طِريقَهُ وسطَ الغابةِ وهُوَ مَازال يَبكى بمرارةٍ، وأخَذَ يسأَلُ كلَّ مَن يقابلُه عَن أمهِ، فَسألَ الضفدعَ: أنت تتوغل بَعيدًا تَحتَ الأرض، ألم تَعثر عَلَى أمِى؟ رد عليه الضفدع قائلا: لكنك فى أحدِ الأيام فقأتَ عينى، فكيفَ أرى طَريقى؟ ثُمَ سَألَ العَصفورَ الأخضرَ: إنك تُحلق بَعِيدًا فوقَ الأَشجار، ألم تر أمِّى؟ فَقال لَهُ العَصفُور: لَقَدْ كَسرتَ أجنحَتِى لِكى تُسلى نَفسكَ، فَكيفَ أطيرُ إذن؟ فسَألَ السنجابَ: أين أمِّى؟ أجابَ السنجابُ: لَقدَ قَتلتَ أمى، فَهلْ تُريدُ أنْ تقتلَ أمُّكَ أيضًا؟

أنخرطَ ابن النجم الكبير طَويلاً في البكاءِ طَالبًا من مخلوقات الله أن تُسامحَهُ، وفى اليوم الثالثِ وصلَ الغُلامُ إلى آخر الغابةِ فنزل السهل، وعِندمَا كَانَ يَمر بكل قريةٍ، كَان الأطفالُ يسَخرونَ مِنهُ، ورفَض الفَلاحُون أن يسَمحوا لَهُ بالنَّومِ حَتَّى فى حَظائِر الحيواناتِ، وابتعد عَنه النَّاسُ بلا رحمة.

لم يعثرُ الغُلامُ عَلَى أمهِ العَجوز، وهَامَ عَلَى وجهِ الأرض ثلاثَ سنوات دُونَ أنْ تُفَارقَ خَيَالَهُ، ثلاثَ سنواتٍ لَمْ يَعرفْ خِلالَهَا طعمَ الحُب أو الرحمةِ، عَاشَ وسَطَ عالمٍ خَلقه لنفسه بسبب أنانيتِه وغُرورهِ.

وفى مساءِ أحدِ الأيام وصلَ الغُلامُ إلى باب مَدينةٍ كَبيرة تحيطُ بهَا الأسوارُ العاليةُ بَعد أنْ أنهكَهُ التَّعبُ والإعياءُ حَاولَ اجْتيازَ هَذَا البابِ، لَكِن الحرس المُسلحَ مَنعُوه وقَالوا لَهُ بجفاءِ: لِماذَا جئتَ إلى هُنَا؟ ومَاذا تُريدُ؟ أجَاب الغُلامُ: إننى أبحثُ عَن أمى، أتوسلُ إليكم اسمحوا لى بالدخول، فربما أجدها فِى هذه المدينةِ، ردَّ عَليه أحدُ الحرس قائلا: فى الحقيقةِ أن أمك لن تَسعد بلقائِك لأنك أكثر قُبحًا من الضفدع، اذهبْ بَعيدا إن أمَّك لا تَقيم فِى هذه المدينة. وقَال لَهُ حارسٌ آخَر كَان يَمسكُ بيده رايةً صفراءَ: من هى أمك؟ ولماذا تبحثُ عَنهَا؟ أجَاب الغُلامُ: أمى عَجوزٌ فَقِيرةٌ، لَقَد عَاملتُهَا بقسوةٍ وأتوسلُ إليكم أريدُهَا أنْ تَصفح عَنى، لَكِن الحرس رفضوا السَّمَاح لَهُ بالدِّخول



وأبعدوه عن طَريقهم، عِندمَا هَمَّ الغُلامُ بالابتعادِ، أوقفَهُ أحدُ الحرس وقَالَ لأصدقائِهِ وهَو يضحكُ: ما رَأيكم؟ لنَبيعَ هَذَا الغُلامَ كعبدٍ وبثمنِه نَقضى لَيلةً سَعِيدةً.

سَمِعَ هَذَا الحديثَ رَجلٌ عجوز كان مارا بالصدفة فقال لهم: هل يمكنُ أنْ أشترى هَذَا الغُلامَ؟ هَاهِى النُقودُ؟ بَعد أن دَفَعَ الرجلُ المبلغَ، أخذَ ابن النجم من يده، ودَخل به المدينَةَ؟ وبعَد أن سارا وسط الشوارعِ والأزقةِ وصلا إلى بابٍ خَشبى مُغطى بأوراق الشَّجر. وفَتَحَ الرجلُ العجوزُ البابَ ونَزلا خمسَ درجاتٍ مَصنوعةٍ من البرُونز، فإذا بهمَا فجأةً وسطَ حديقةٍ كبيرةٍ، ثم أخرجَ الرَّجلُ من جيبه منديلاً مصنوعًا من الحرير، لفه حول عينى الغُلامِ حَتَّى لا يَرى الطريقَ الَّذى سَوفَ يسيران فيه.

عِندمَا رفعَ الغُلامُ المنديلَ عَن عَينه إذا بهِ فى زنزانة لا يضيئها إلا مصباحٌ خَافتٌ ووَضَع الرجل العجوزُ أمامَ الغُلامِ قطعًا من الخبز العَفن وقَالَ له: هيَّا.. تَناول طَعامَك. ثُمَّ وضَعَ أمامَه بعضَ الماءِ المالِح وقَالَ: هيَّا.. اشربْ. بَعدَ أنْ أكلَ الغُلامُ وَشربَ قَيَّده الرجلُ بالسلاسلِ الحدِيديةِ وخَرجَ وتَركَهُ بمفردِهِ بَعدَ أنْ أحكم غلق البابِ.

فى صباحِ اليوم التَّالى جَاء الرجلُ العَجوزُ الَّذِى كَانَ سَاحرًا مَعروفًا وقَالَ لَهُ: فى هذه الغابة القريبة تُوجدُ ثَلاث قطعٍ من



الذَّهبِ، واحدة بيضاءُ والثانيةُ صفراءُ والثَالثةُ حمراءُ. عَليك أنْ تحضرَ لى اليوم قطعةَ الذَّهب البيضاء، وإذا لم تأت بها سوفَ أقومُ بجلدِك مائةَ جَلدةٍ. اذهب بسرعةِ الآن وَسوفَ أنتظرُكَ قَبل أن تَغيبَ الشَّمسُ عِندَ باب الحدِيقةِ.

كانت الغابة جَمِيلةً سَاحرةً تُحلِق فيها العصافيرُ الملونة، وتَزدهرُ فِيهَا الأزهارُ برائحتِهَا العطرة. فَدخَل الغُلام الغابة سَعِيدًا فرحًا ليبحث عن قطعةِ الذهبِ البيضاءِ. لَكِن بعد عناءٍ طَويل لَم يعثرْ عَلَى شىءٍ وضَاعَ مجهوده بدون جدوى. وعِندَما قاربت الشَّمسُ على المغِيبِ اضطر الغلامُ للعودةِ، فأخَذ يَبكى طِيلة الطريق لأنه كان يعرفُ جيدًا المصير الَّذِى فى انتظاره. لَكِن عِندمَا وَصل إلى أطرافِ الغابةِ سَمعَ فجأةً صوتَ استغاثةٍ، فنسى ابن النجم حُزنه وجَرى بسرعةٍ فى اتجاهِ الصَّوتِ. فإذا به أمامَ أرنبٍ صَغِير وَقعَ فى فخِ أحدِ الصيادين.

رَقَّ قلبُ الغُلام وبسرعةٍ أخذَ يُسَاعدُ الأرنبَ حَتَّى أطلقَ سَرَاحَه، وقَال: حَقِيقةً إننى من العَبيدِ لكِننى أستطيع أنْ أمنحَكَ الحريةَ. أجابه الأرنبُ الصغِيرُ قَائلاً: لَقدَ أطلقتَ سَراحِى مَاذا يُمكن أن أقدمَ لَكَ. قَالَ لَهُ الغُلامُ: إننى أبحثُ عَن قطعةٍ من الذَّهبِ الأبيض، وإذا لَمْ أحضرْهَا لسيدى فَسَوف أُضربُ بالسياط. فَقَال الأرنبُ: تَعال معى، أنا أعرفُ مَكانَها.

سَارَ الغُلامُ خلفَ الأرنبِ وعِنـدَ فتحـةٍ صغـيرةٍ وسطَ شَجرةٍ كَثيفةٍ لمحَ قطعة الذَّهبِ البيضـاءَ. وبفرحـةٍ كَبـيرةٍ أخـذَ الغُـلامُ قِطعةَ الذَّهبِ وقال للأرنبِ: لَقـد سَاعدتُك، وهَـا أنـتَ تُقـدمُ لى العَونَ.. إننى أشكرُكَ.

أخذَ الغُلامُ يَجـرى بسـرعةٍ صَـوبَ المدِينـةِ، وقَبـل أنْ يَجتـازَ البوابةَ الكَبيرةَ وَجدَ رجلاً عَجُوزًا يخفى وَجهه ويَمدُّ إليه يَـده ويَقولُ:

أعطنـى حَسنةً للهِ، سـأمُوتُ جوعًـا، لَقَدَ طَردونـى مـن هَـذِه المَدينةِ.. ارحمنى.

قَالَ لَهُ الغُلامُ: إننى من العَبيدِ، ولَيسَ مَعِـى إلا قِطعـةُ نُقـودٍ وَاحدةٍ، وإذا لَمْ أعطـها لسـيدى سَـوفَ يَضربنـى، لَكِـن الرجـل العَجُوز أخـذَ يَتوسـل إليـه حَتَّـى أعطَاهُ الغُـلام قِطعـةَ الذَّهـبِ البَيضاءِ.

وعِندمَا وَصلَ الغُلامُ إلى بيتِ السَّاحِر، فَتحَ لَهُ العَجُـوزُ البـاب وسَألَهُ عَلَى الفور: هل أحضرت قطعة الذهـبَ البيضـاء؟ أجـاب الغُـلامُ: ليسـت مَعِـى. فانهَالَ عَليه السَّاحِرُ بالضَّربِ، ثُمَّ ألقـى بهِ دَاخلَ الحُجرةِ المظلِمةِ ووضَعَ أمَامَه إناءً فارغًا وقال: اشـربْ وتناول طَعامَك.



فى صَباحِ اليومِ التَّالى جاءَ الرجلُ العَجُوزُ وقَالَ للغُـلامِ: إذا لم تحضرْ لى قَطِعةَ الذَّهبِ الصفراءِ سَوفَ تبقـى عِنـدى عَبـدًا مَـدى الحياةِ، كَما سوف أجلدك ثلثمائة جَلدةٍ.

لم يَكـنْ أمـامَ الغُـلام إلا أنْ يتَوجـه إلى الغَابـةِ ليَبحـث عَـن قطعـةِ الذَّهـبِ الصفـراء ولكـن بـدون فـائدة. مـن شـدة العَنـاء والتَّعـبِ جَلـسَ عَلَـى الأرض وأخـذَ يَبكـى عِندمَـا سَـمعه صَدِيقُه الأرنـبُ الصغـيرُ سَألَه:

لماذَا تَبكى ؟ هـل تَبحـثُ عَن شيءٍ ؟

أجابـه ابـن النجـم قَـائلا: أبحـث عَـن قطعـةِ الذَّهـبِ الصفـراءِ، وإذا لم أجدْهَـا سَوفَ يُعـاقِبُنى سـيدى بـالضَّربِ. قَالَ لَهُ الأرنـبُ: تعـال مَعِـى.

جـرى الصدِيقَـان عـبرَ الغَابـةِ الواسـعةِ حَتَّـى وصـلا إلى مُسـتنقع كَبـير، لَمعتْ فِـى قَاعـهِ قِطعـة الذَّهـبِ الصفـراء. فَقَـالَ الغُـلامُ للأرنـبِ:

كَمْ أشـكُركَ يـا صديقـى، هَذِه هِـى المرة الثانيـة الّتِـى تقدمُ لى فِيـهَا العَونَ والمسـاعَدَة. قَـالَ الأرنـبُ وهُـوَ يَجـرى مـن الفرحِ: لَقَد كنـتُ عَطوفًـا مَعِـى.

أخـذَ الغُـلامُ قِطعـــةَ الذَّهــبِ الصفــراء وجــرى بســرعةٍ إلى المدينــةِ.

ولَكـن عِندمَـا لمحـه الشحـاذُ العَجـوزُ جَــرى خَلفَــه وَركَــعَ عَلَـى رُكبتيـه وأخـذَ يَقـولُ لَـهُ: أعطنـى بعـضَ النقــودِ إننــى أمـوت جوعًـا. قَـالَ لَـه الغُـلامُ: ليـسَ مَعِـى إلا قطعـةُ الذَّهــبِ الصفـراء وإذا لَـمْ أعطـها لسيدى سـوفَ أظـلُ لـه عبــدًا مــدى الحيـاةِ.

لَكِـن الغُــلامَ رقَّ لحالــه فأعطــاه قطعـــةَ الذّهـــب، وعِندمــا وصَـلَ إلى بَيـتِ السَّـاحِر العَجُـوز بَـادره بالســؤال عَــن قطعــةِ الذَّهبِ، قــالَ الغُـلامُ:

ليســتْ مَعَـــى قَطعـــةُ الذَّهــبِ الصفــراء، فانَـــهال عَليـــه السَّـاحِرُ العَجُـوزُ بـالضَّربِ ثُـمَّ قيـده بالسلاسـلِ والأغـلال.

وفــى صَبــاحِ اليــوم التَــالى طَلَــبَ السَّــاحِرُ مِــن الغُــلام أنْ يَحضرَ لَــهُ قِطعـةَ الذَّهـب الحمـراء وإلا قَتَلـه هـذه المـرة. سَـارَ الغُـلامُ إلى الغابـةِ بَحثًـا عَـن قطعـــةِ الذَّهــبِ الأخــيرة، لَكِــن بدون فــائدةٍ، فَجَلـسَ يَبكـى حَتَّـى جَـاء إليـه صَدِيقـه الأرنـب الَّـذِى قَـاده مــرة أخــرى إلى مَغــارةٍ مُظلمـــةٍ لمعــتْ بداخِلــها قطعـة الذّهـبِ الحمـراء.

جرى الغُلامُ فى اتجاه المدينةِ بعد أنْ شَكَرَ صَديقَهُ الأرنب عَلَى رقّةِ مَشاعرِه، لَكِنه التقى بالشَّحاذِ العَجُوز الَّذِى نَادى عَليه قَائلاً:

أعطنى قطعةِ الذَّهبِ الحمراء وإلا مت جَوعًا. وبلا تردد أعطاه الغُلامُ قِطعةَ الذَّهبِ الحمراء، وقَال لَهُ:

- إن مأساتك أكبرُ من مُشكلتى.

عِندمَا اجتازَ الغُلامَ أبوابَ المدِينةِ، تَجمع حَولَهُ الحرسُ مِن كُلِّ جَانبٍ وَقالوا لَهُ: لقد تَحول شكلك وأصبحتْ بهيًّا سمح الطلعةِ! ثُمَّ تَجمعَ حَوله الأهالى وسَمعَهم يَقولون: لم نرَ فى حياتِنَا مَن هُوَ أحسن منك. فَقالَ ابنْ النجم الكبير لنفسهِ وهُوَ يَبكى: لابدَّ إنهم يَسخرونَ منى.

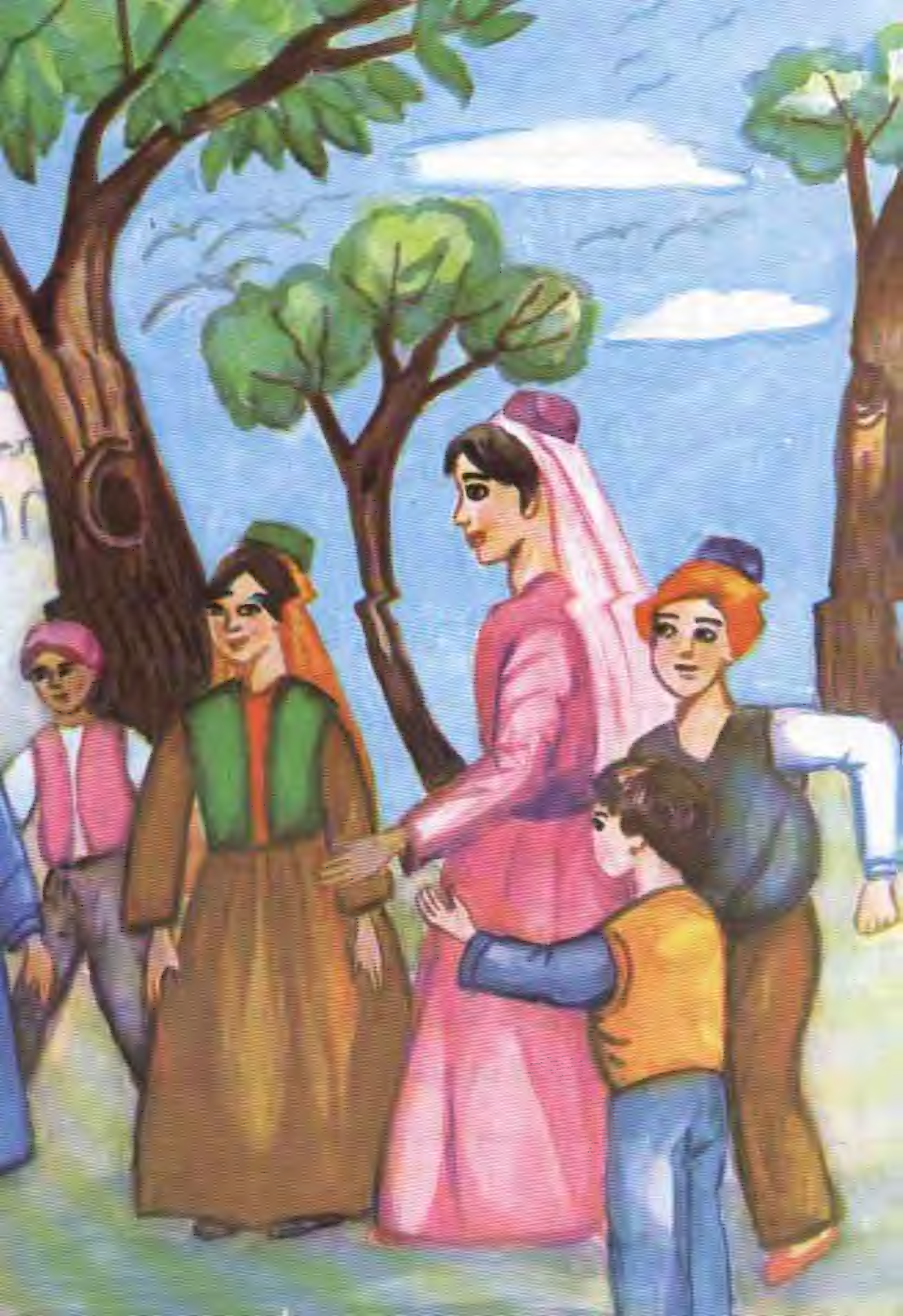
تَزاحمَ النَّاسُ حولَ الغُلام الصَغير حَتَّى أنه ضَلَّ الطريقَ، فوجدَ نَفسه أمامَ قَصر الملك. وإذا بالباب الكَبير يُفتحُ فجأةً، ووجَدَ الوزراء وكِبَار القوم فى استْقبالِه وقالوا لَهُ:

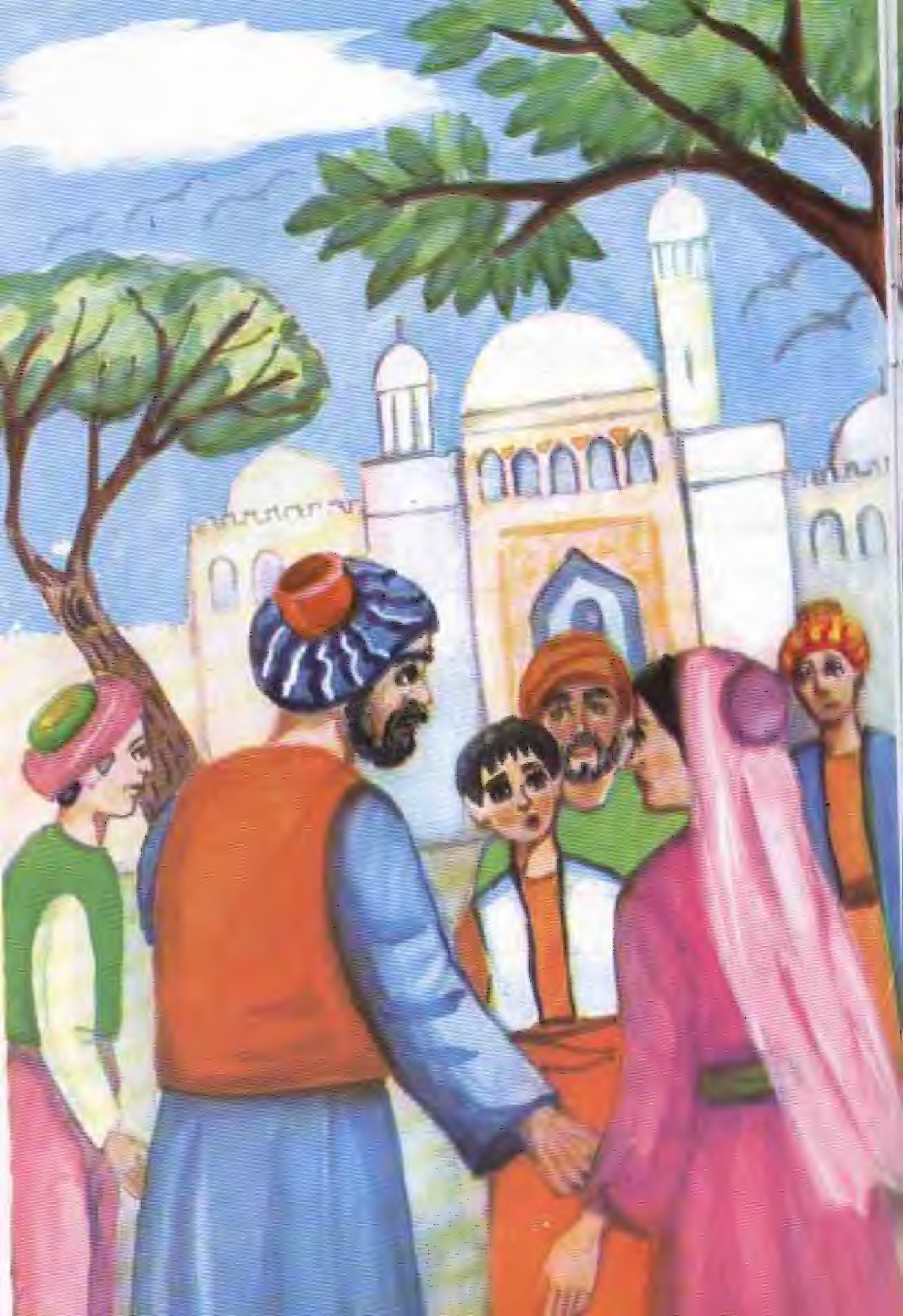
إنك الأمير الَّذِى كُنا فى انتظارِهِ، أنت ابنُ الملكِ، فَقالَ ابنُ النجم بدهشةٍ: لستُ ابنَ الملكِ، ولَكِن والدتى امرأةٌ

فقيرةٌ وأنتم تَسخرون منـــى. اقــتربَ منــه أحــدُ الحــراس وقَالَ لَهُ: كيـف يَقـول سيدى الأمـيرُ ذَلِـك.

وبعـد أنْ نَظـرَ الغُـلامُ إلى نَفسِـهِ فـى المـرآةِ اكتشـفَ أنـه عَـادَ إلى شـكله الأول، عَـادتْ إليـه نَفسُ الصـورةِ الجَميلـةِ الَّتِـى كَانَ عَليـها بعـد أنْ تَحسـنتْ أخلاقُـه. فَقَـال لَـه الـوزراءُ: كنـا نَنتظرُ وصولَكَ مُنـذ زَمـن بَعيـدٍ، لَكـن الغُـلام قَـالَ لَـهم: إننـى لا أستحق كـلَّ هَـذَا الشـرفِ، لقـد أهنـتُ والدتـى الَّتِـى أتَـتْ بـى إلى هَـذِهِ الدُّنيـا، ولَـنْ أهـدأ حَتَّـى أعـثرَ عَليـهَا وأطلـب مِنها الصفـحَ والمغفـرةَ.

أثناء حَدِيثه هَذَا وقعتْ عَيْنَا الغُلامِ عَلَى الطريق الَّـذى يُوصلُ إلى بَابِ المدينةِ، فَلمَـحَ المـرأةَ العَجُـوز أمـه وبجَانبـهَا الشَّحَاذ العَجوز الَّذِى أعطاه قطعَ الذَّهبِ الثلاثـةِ. فَصرخَ الغُلامُ مِـن شِـدةِ الفـرحِ، وجَـرى إلى أمِـهِ سَاجدًا عَلَـى رُكبَتيـه ليُقبـل قَدميــهَا ويَغسـلُهَا بدمــوعِهِ قَائـلاً: لَقَد أنكرتُكِ عِندمَا كَنتُ قَويا، فَهل تقبلينى وأنا ضعيف، لقد حملت إليك الكراهية فَـهل تَعطِينـى الحب، لكن المرأة العجوز لَمْ تَنطقْ بحرفٍ واحـدٍ، فمـد الغُـلامُ يَديه إلى الشَّحاذِ وقَال لَهُ: لَقد أعطيتُكَ ثلاثَ قطعٍ مـن الذَّهـبِ، فاطلب من أمى أنْ تَصفحَ عَنى. لَكِـن الشّحاذَ العجـوزَ لم يَنطـقْ بحرفٍ واحدٍ.





أخذَ الغُلامُ يَبكــى مِـن جَديـدٍ ويَتوسـلُ ويَقـولُ:

اغفـرى لى يـا أمِّـى وإلا ســوفَ أعــود ثانيًــا إلى الغابــة، وضعـت المـرأةُ يَدهَــا عَلَــى رأســهِ وقـالتْ لـه:

انـهضْ الآن. . ووَضَـع الرجـلُ العَجـوزُ يَـده عَلَـى رَأسـه وقَـال: انـهضْ . .

بعـد أن نـهضَ الغُـلامُ واقفًـا، نَظَـر إليـهما بدهشـةٍ، فـإذا به فجأةً أمـامَ ملـكٍ وملكـةٍ. قَـالتْ لـه الملكـةُ: هـذا هـو والـدك الملك الَّذِى كَـانَ يبَحـثُ عَنـكَ بنفسـه.

فَقَالَ الملـكُ: وَهـذِه هـى والدتـك الملكـة الَّتـى غَسـلت قدميـها بدموعِكَ، لقـد بحثَـتَ عَنـك طَويـلاً بنفسـها.

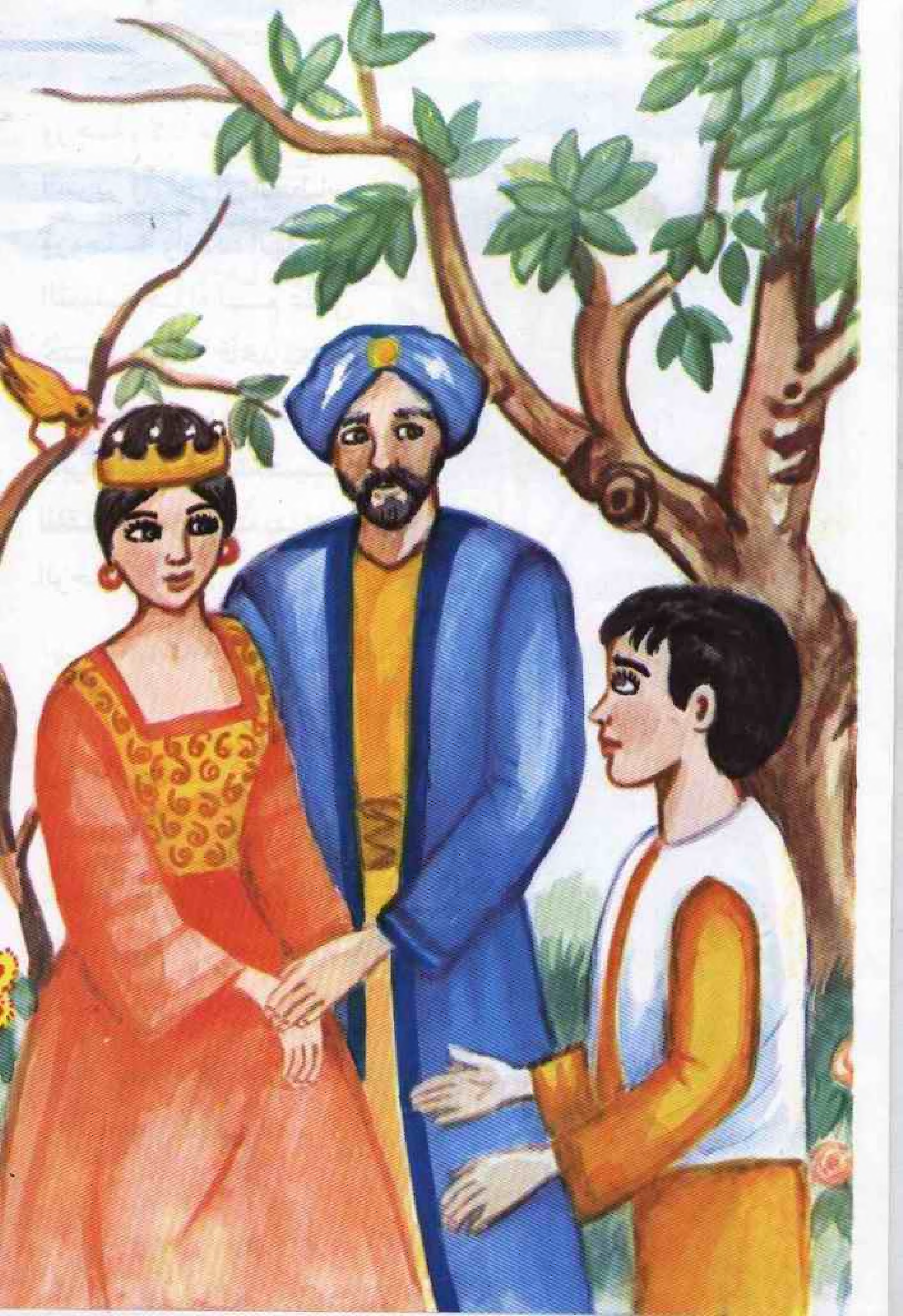
فـألقى الغـلام بنفسـه بـينَ ذراعــى والديــه ليقبلـهما، ثـم دخـل معـهما إلى القصـر حيـث ارتـدى أحلـى وأفخـرَ الثيــاب الَّتــى تَليــقُ بســلوكه الشُّــجَاع الطّيــبِ.. وبعــد أنْ رَقَّ قلبـهُ وامتـلأ بُحـبِ النَّـاس نَصبـةُ وَالـدُهُ مَلكًـا عَلَـى البـلادِ فوضعَ تاجَ العـرش عَلَـى رأسِـهِ.

وهكَـذا أصَبـحَ الغُـلامُ ابـنُ النجـم الكَبـير حَاكمًـا عَلَــى هَـذِه المدينةِ الَّتِى تُطـلُّ عَلَـى شـاطىءِ النـهر، فحَكَـمَ بكـل عَدالـةٍ



ورحمةٍ، كَما عَاقبَ السَّاحرَ الشريرَ وأرسل إلى الحَطَّابِ وزوجتـه وأولاده الهدايـا الثمينـة جـزاءً لهـم عَلَـى حُسن مُعاملته. فَأخذ يعلـمُ مملكتـه الحـب والتَّسـامحَ والرحمـةَ، كمـا أحَسـنَ للفقـراءِ فعرفـتْ بـلادُه الرخاءَ والسَّلامَ.

* * *



أسئلة على القصة

١ - لماذا سُمىَ بطلُ القصةِ باسم « ابنِ النّجِم الكَبيرِ » ؟

٢ - صِفْ أخلاقَ كُلٍّ مَن الحطَّابَيْن ؟

٣ - لماذا قال الحَطَّاب لزوجته : « إنَّ البيتَ الذى يعيشُ فيهِ قلبٌ قاسٍ لابد أنْ يدخَله الهواءُ البارد» وما تأثيُر هذِه الجملةِ علَىَ زوُجةِ الحَطَّابِ ؟

٤ - هل أخلاقُ ابنُ النَّجْم الكبيرِ كانتْ تتنَاسبُ مَع جمَالِ وجْهه ؟ ولَماذَا ؟

٥ - ما هِى الدرُوسُ التِى كانَ يحَاول الحطَّابَ أن يعلمَها لابُنِ النُجِم الكبير؟

٦ - كيفَ عامَل ابْنُ النّجِم الكبير المرأةَ العجوزَ التِى كانْت تجلِسُ تحتَ الشَجَرةِ ؟ ومَنْ أنقذهَا مِنهُ ؟

٧ - لماذَا صرخَت المرأةُ العجُوُز ووقَعتْ علَى الأرْضِ مْغشِيًّا عليهَا؟ وكيف تعرَّفتْ على ابنهَا؟

٨ - كيفَ قابَل ابْنُ النَّجِم الكبير المرأةَ العجوزَ حِيَن عرَف أنَّها أمُّه بعدَ أنْ قصَّت عليهِ قصتَها ؟

٩ - ما هِيَ المواقفُ التي أدَّتْ إلى تغيير هيئة ابْنِ النَّجِم الكبير إلى هْيئَةِ ضفْدَع؟

١٠- مَا هِي المواقِفُ التي أعَادَتْ إلى ابْنِ النَّجِم الكَبير هيْئَتَه الجَميلَة ؟

١١- مَا هي الدرُوس المستفادَةُ مِن هَذِه القصَّةِ ؟

☆★☆